الفصل الثامن

الارتقاء بالقدرات عن طريق الفهم والدعم؛ الاجتماعيّ والعاطفيّ

«إنّ أكثرَ الاحتياجات شيوعًا لدى هؤلاء الموهوبين حاجتُهم إلى المساعدة في التّكيّف مع الضّغوط المتعلّقة بالنّموّ بوصفهم أطفالًا موهوبين في مجتمع لا يعترف دائمًا بالموهبة، أو يفهمها، أو يرحبّ بها».

سيدني مون – أستاذة تربية الموهوبين، ومديرة معهد مصادر تربية الموهوبين في جامعة بوردو، في ولاية إنديانا الأمريكيّة

سؤال رئيس
• ما الذي يتعيَّن عليك معرفته بشأن كلٍّ من النّموّ الاجتماعيّ والعاطفيّ للأطفال والشّباب الموهوبين؟

يشيع بين كثير من الناس اعتقاد خطأ، هو أنّ الأطفال الموهوبين غريبو الأطوار اجتماعيًّا. وفي واقع الأمر، فإنّ هذا غير صحيح البتّة. فحين تسنح للشّباب الموهوب فرص التّفاعل مع الآخرين ممّن يشاركونهم في الاهتمام، فإنّهم يصبحون اجتماعيّين على نحوٍ رائع. وربّما يَظهرون بمظهر أقلّ اجتماعيًّا حين يتعذّر عليهم العثور على آخرين يتحدّثون إليهم في الاهتمامات المشتركة بينهم. وهذه مشكلة تواجه أغلب الأفراد الّذين يجدون صعوبة في التّفاعل اجتماعيًّا حين لا يجدون مَنْ يشاركهم مجرد الحديث والنقاش في موضوعات عامّة.

تخيَّـل الشّعور الذي يراود شخصًا لا يحفل بالمباراة النّهائيّة لدوريّ كرة القدم، مع أنّ الملايين من عشّاق هذه اللّعبة يتسمّرون لمشاهدتها؛ ما يعني أنّها ستكون حديث السّاعة في كثير من الجلسات، إن لم يكن أغلبها.

إنّ التّطـوّر الاجتماعيّ- العاطفـيّ للأطفال الموهوبين قد يتعـزَّز أو يُعاق بفعل عوامل عـدّة في حياتنـا؛ ما يحتّم علينا تثقيـف أنفسنا؛ لنتمكّن من تنميتهـم وتطويرهم اجتماعيًّا وعاطفيًّا، وهذا يؤثّر إيجابًا في قدراتهم وإمكاناتهم.

قانون حقوق الأطفال الموهوبين

قبـل التَّفكير في تأسيـس صفوف أو مدرسة يمكن فيها للموهوبين التّعبير عن قدراتهم وإمكاناتهم، يجب أولًا فهم احتياجاتهم، وتعرُّف ميولهم وقدراتهم.

في عام 2008م، قدَّم ديل سيجل؛ رئيس الجمعية الوطنيّة الأمريكيّة للأطفال الموهوبين في ذلك الوقت لمؤتمر المنظمة- قانون حقوق الأطفال الموهوبين the Gifted Children's Bill of Rights (انظـر الشّكل 3)، الذي يحوي اقتراحات مهمّة، حيث يمثِّل كلّ منها توجيهًا ناجعًا لك؛ سواء كان لديك طالب واحد موهوب أو صفّ كامل من الموهوبين.

إنّ وضـع مشـروع هـذا القانون في مـكان بارز في صفِّـك يُعَدّ تذكيرًا جيِّـدًا بالمبادئ الأساسيّة التـي تُوجِد بيئةً ومُناخًا إيجابيّيْن داخل الصّفّ. ومن المهم مشاركة أولياء الأمور والطـلّاب أنفسهم في نصّ هـذا القانون ؛ فالشّباب هم الفائزون فـي نهاية المطاف، حين يرسل كلٌّ من المعلِّمين وأولياء الأمور رسائل مشابهة للموهوبين.

مجموعتا أقران للأطفال الموهوبين

يتضمن فهم احتياجات الأطفال الموهوبين إدراك وجود مجموعتين من الأقران، هما: الرفقاء الذيـن يماثلونهم في العمر، وأقرانهم الذين يماثلونهم في القدرات العقليّة (الذين يشاركونهم في الاهتمام والشغف).

يكـون أقـران القدرات العقليّة عـادة أكبر سنًّـا، ويجد الأطفال الموهوبـون سهولة في التّحـدّث إليهـم وتكوين صداقات معهم؛ نظـرًا إلى مشاركتهم في الاهتمامـات نفسها. لعلّ السّماح للموهوبين بإيجاد رفقاء من العمر نفسه، ومفكّرين في الوقت ذاته، هو أحد أسباب تطبيق نموذج تجميع القدرات للأغراض التّعليميّة. فكلّ إنسان في حاجة إلى شخص يتواصل معـه بسهولة، وليس الأطفـال الموهوبون استثناءً. ولا شكّ فـي أنّ الطّالب الموهوب سيشعر بالوَحـدة والكآبـة إذا لم يجد أيًّا من زملائه يشاطره الاهتمامات والميول نفسها، ثمّ سيعمد إلى سؤال نفسه: ما خطبي؟

ومع أنّ قلقَ الطّالب الموهوب لدى شعوره بالعزلة، وباختلافه عن الآخرين، أمرٌ إيجابيّ حتمًا، فإنّه لا يشير إلى مشاعر إيجابيّة لكثير من الأطفال والمراهقين.

إنّ فكـرة وضع الطلّاب معًا لأغراض تعليميّة قـد تساعد الموهوبين منهم على الشّعور بالراحـة والاستقرار، وتحفيز مواهبهم الكامنة لدى مناقشتهم أقرانًا يشاطرونهم الاهتمام والعاطفـة. ويمكـن لهذه التّجميعات المحتملـة أن تشدّد على الاهتمامـات، أو الاستعداد، أو الاحتياجـات، وقـد تكون قصيرة المدى بالنسبة إلى مشروع مـا أو تجمعات مرنة، وقد تكون أيضًا مجموعات عنقوديّة، أو فصولًا متجانسة.

أحيانًـا، يجد الطـلّاب مشابهين لهم في الميول والأفكار فـي الأنشطة التي يمارسونها خارج المدرسة؛ إذ إنّ الأحـداث الموسيقيّة والرّياضيّة، وكذلك المنظّمات المتعدّدة، يمكن أن تـؤدّي إلى تجمّع الأقران الّذين يتشاركون في الاهتمامات. أيضًا، يمكن لبرامج العطلات والبرامج الصّيفيّة أن توفر فرص التّواصل بين الطلّاب بسهولة.

وفي هذا السّياق، أشارت الكاتبة باربرا كينجسولفر (Barbara Kingsolver ,2002) إلـى أنّ خبرة مشاركـة ابنتها في البرنامج الصّيفيّ للشّبـاب الموهوب «ساعدتها على تفهّم المكافـآت المحتملـة للانتمـاء إلى جماعة مـن الأقران الّذيـن يهتمون بالممثليـن والكتّاب ومصمّمي الأزياء».

قانون حقوق الطفل

لديك الحقّ في أن:

1. تعرف عن موهبتك.
2. تتعلّم شيئًا جديدًا كلّ يوم.
3. تكون شغوفًا (متحمّسًا) بشأن مجال موهبتك من دون أيّ اعتذار.
4. يكون لديك هوية تتخطى مجال موهبتك.
5. تشعر بالرضا عن إنجازاتك.
6. تخطئ.
7. تطلب التّوجيه بخصوص تطوير موهبتك.
8. يكون لديك مجموعات عدّة من الأقران والأصدقاء.
9. تختار أيّ مجالات موهبتك الذي ترغب في مواصلته.
10. لا تكون موهوبًا في كلّ شيء.

ديل سيجل ,Del Siegle

NAGC President, 2007–2009

الشّكل 3: مشروع قانون حقوق الأطفال الموهوبين يمكن الحصول على نسخ من المشروع في الموقع الإلكترونيّ الآتي:

(http://www.nagc.org) http://www.prufrock.com

أعيد نشره بإذن من الجمعية.

الأطفال الموهوبون بوصفهم مجتمعًا متنوعًا

يمثِّل الأطفال الموهوبون مجموعة متنوّعة جدًّا من السّكّان، وهم يتشاركون في كثير من السّمات، ويميلون إلى التّطرّف فيما يتعلّق ببعض السّمات؛ فهم يميلون -مثلًا- إمّا إلى الدّقّة والنِّظام، وإمّا إلى الفوضى وعدم التركيز، وكثير منهم يُظهرون حِدّة في سلوكاتهم. وفي الوقت الذي يميل فيه الأطفال جميعًا إلى حبّ الفضول، يميل أقرانهم من الموهوبين إلى الفضول الذي يبدو كاستجواب لا يتوقّف، وتُعَدّ الحدّة سمة نموذجيّة -إلى حدّ ما- تغلب على الشّباب الموهوب.

يطور الأطفال الموهوبون غالبًا اهتمامات محدَّدة جدًّا في سنّ مبكّرة، فقد يصبح أحمد شغوفًا جدًّا بالديناصورات؛ حتى إنّ كلّ شيء يرغب في قراءته يجب أن يكون له علاقة بالديناصورات، وربّما تطور سارة اهتمامها بالتّاريخ عن طريق لعبها مع دميتها المفضلة، إضافة إلى رغبتها في قراءة الكتب المتاحة كلّها عن تلك الدّمية والمدّة الزّمنيّة التي تمثِّلها. أمّا سليمان فقد يُظهِر اهتمامًا شديدًا بلعب الشّطرنج أمام أيٍّ من زملائه في الصّفّ ممّن يشاركونه الاهتمام نفسه، في حين قد ترغب فاطمة في تعلّم كلّ ما له علاقة بالفراش، على الرّغم من عدم معرفة الجميع كُنْه هذا الافتتان ومصدره.

أمّا الطلّاب، فإنّ الشّغل الشّاغل لهم هو العثور على آخرين يشاركونهم في الاهتمام (رفقاء الأفكار، أو طلّاب أكبر سنًّا)؛ للحفاظ على عملية التَّعلُّم، وحفز اهتمامهم في الموضوعات التي تجذبهم.

يعرض الخبير توماس هيبرت Thomas P. Hébert أفكاره وإستراتيجيّاته المتعلّقة بتلبية الاحتياجات الاجتماعيّة والعاطفيّة للطلّاب الموهوبين، ويصف بعض الإستراتيجيّات الّتي ستجدها ممتعة ومفيدة وقابلة للتّطبيق.

أسرار البقاء في تلبية الاحتياجات الاجتماعيّة والعاطفيّة للطلّاب الموهوبين

توماس بي هيبرت(*)

كان والدا إحدى طالباتي على وشك الانفصال، وكنت أجلس معها بعد المدرسة لأستمع إليها وهي تُعبِّر عن مخاوفها بشأن التّغيّرات التي ستحلّ على عائلتها، وكانت شاكرة لاستماعي إليها. وكانت هناك طالبة أخرى في المدرسة الابتدائيّة أطلقت سراح النّحلّ المحاصر في جرّتها عقب رحلتنا إلى مزرعة أحد النحّالين؛ ذلك أنّها لم تستطع -عاطفيًّا- تحمُّل رؤيته مُحاصرًا سجينًا. في حين انضمّ إليَّ أحد الطلّاب في حلقات المناقشة في أثناء تناول وجبة طعام، حيث خضنا مناقشات مباشرة عن معاناته في التَّعرُّف إلى صبية آخرين في المدرسة المتوسطة يقدِّرون ذكاءه وحساسيته وإبداعه.

بصفتي مربِّيًا، سعدت بحصولي على فرص لتدريس مجموعة متنوّعة من الطلّاب، وتعلّمت من خبراتي مع طلّاب أمثال هؤلاء أهمية إدراك ما يجري في حياة الشّباب والأطفال بعيدًا عن جدران غرفة الصّفّ. فكلّما عملت مع طلّاب أكثر ذكاءً أدركت أهمية فهم حياتهم الاجتماعيّة والعاطفيّة.

وها أنذا اليوم أعمل - في قاعات الدِّراسة الجامعيّة - مع الخريجين والمربّين؛ لتعرُّف مزيد عن السّمات الاجتماعيّة والعاطفيّة المحدَّدة، إلى جانب السّلوكات التي تتجلّى لدى المتعلّمين الموهوبين، وأدعو الجميع إلى إنعام النّظر في السّمات الآتية الّتي تساعد على تفهُّم احتياجات الطلّاب الموهوبين:

- التوقّعات العالية للنّفس والآخرين (النّزعة إلى الكمال) perfectionism.
- الدّافعيّة الدّاخليّة، ومركز الضّبط locus of control.
- الحساسيّة العاطفيّة، والحدّة، والعمق.
- التّعاطف.

---

* Thomas P. Hébert استاذ الدراسات التّربويّة في جامعة ساوث كارولينا، ويشرف على الدراسات في مجال الموهبة. حائز على جوائز عدة لبحوثة التي تتناول التّطوّرين؛ العاطفيّ والاجتماعيّ للطلّاب الموهوبين، والطلّاب المختلفين ثقافيًّا، وضعاف التّحصيل، والمشكلات التي يواجهها الموهوبون الشّباب. وهو مؤلف كتاب (احترام الحياة الاجتماعيّة والعاطفيّة للطلّاب الموهوبين Honoring the Social and Emotional Lives of Gifted Students.) -المراجع

- المستويات المتقدّمة من النّضج الأخلاقيّ، مع التّوافق بين القيم والأفعال.
- الحاجة الملحّة لتحقيق الذّات.
- روح الفكاهة العالية.
- المرونة.

إنّ تعـرُّف المربّيـن هذه السّمات التـي تغلب على الطلّاب الموهوبيـن، سيزيد من إدراكهم بمـدى تأثيرها –الذي ينحـو مناحٍ عدّة – في تطـور مراحل طفولتهـم ومراهقتهم بطرائق مختلفـة. ولمساعدة الطلّاب الموهوبيـن في أثناء رحلتهم التّطويريّـة، من المهم أن يوجد المربّـون ثقافة بيئة صفّية داعمة. فـي أثناء عملي مع الخرّيجين والمعلّمين في مجال تعليم الموهوبيـن، كنت أقضي كثيرًا من الوقت في محاولة إيجاد مُناخ عاطفيّ صحيّ في الصّفّ؛ لتهيئـة بيئة مناسبة تمكّـن الشّباب من الشّعور بالتّقدير الكافي لقاء ذكائهم وإبداعهم، إلى جانب شعورهم بالاحترام الشّخصيّ من معلميهم وزملائهم في الصّفّ أيضًا.

وفيما يأتي الإستراتيجيّات الثّلاث المفضّلة لديَّ، الّتي طبَّقتها في فصلي لدعم تنمية طلّابي اجتماعيًّا وعاطفيًّا، وآمل أن يفكّر قرّائي في استخدام هذه الإستراتيجيّات في فصولهم.

بطاقات العمل

استحدثْـتُ، فـي الأسبـوع الأوّل من الدِّراسـة، نشاطًا معيّنًـا، أطلقْتُ عليـه اسم (بطاقات العمل)، وقد أوضحْتُ لطلّابي وجود بطاقات عمل للمتخصّصين، تُقدِّم صورة للعالم عنهم وتُعرِّف بهم، ثمّ تبادلْتُ معهم مجموعة بطاقات العمل الّتي بحوزتي، مُبيِّنًا أيّتها تُرسِل رسالة واضحـة. لقـد جمعْتُ هـذه البطاقات من مختلف أنحـاء البلاد، واستمتعْـتُ بعرض بطاقة إحـدى عاملات التّنظيف. في هذه البطاقة، أوضحْـتُ لطلّابي أنّها تحدَّثَتْ إليَّ وأفادت بأنّ شركتهـا تُقدِّم خدمة شاملة لتنظيف المنازل، وقـد تَبيَّن لي أنّها السّيدة المناسبة للاعتناء بمنزلـي. وهناك بطاقة أخرى لمحلّ بيع حلوى، وهي بطاقة بسيطة وأنيقة، ما جعلني أطلب كعكـة عيـد زواج والديَّ الخمسين من هذا المحلّ، حيث أردت كعكة بسيطة وأنيقة، وقد كان قرارًا موفّقًا حقًّا؛ إذ كانت الكعكة رائعة، ولاقت قَبولًا من والديَّ في عيد زواجهما.

بعـد عرضي مجموعة البطاقات، أخذْتُ أتلمَّس ردود فعل الطـلّاب على السّؤال الآتي: ماذا تقـول بطاقة العمل عنك؟ ثمّ بدأْتُ أُوزِّع صحائف كبيرة من الورق المقوّى بينهم، ومنحتهم الوقـت اللّازم لتصميم بطاقات العمل المخصوصة بهـم. وكان هدفي من هذا النّشاط هو

أن يجد الطلّاب الموهوبون صديقًا؛ أي أن يجد هواة الخيال العمليّ بعضهم بعضًا، وأن يعثر مشجعو فريق كرة القدم على هواة آخرين لهذه اللّعبة، وأن تلتقي الفتيات اللّاتي صمَّمْنَ بطاقات مخصوصة بتفصيل الملابس بمصمّمات أُخريات، وأن يكتشف خبراء الحاسوب بعضهم بعضًا. بعد ذلك، عرضت بطاقات العمل على جدران الصّفّ بصورة بارزة، بحيث أدرك الطلّاب الاهتمامات المشتركة فيما بينهم، وتمكّنوا من إيجاد روابط صداقة. لقد كان هذا النّشاط البسيط هو ما أحتاج إليه؛ لأشرع في بناء علاقات اجتماعيّة داعمة.

صندوق بريد الصّفّ

أدرجْتُ صندوق بريد مخصوصًا بالصّفّ، أتاح للطلّاب التّواصل معي شخصيًّا. غطَّيْتُ الصّندوق بورق ملوّن، وأعلنْتُ لطلّابي أنّهم إذا تركوا لي خطابًا في الصّندوق فإنّي أتعهّد بأنّهم سيجدون خطابًا منّي في ظرف مغلق في اليوم اللّاحق. لقد كان كثير من الخطابات التي تلقّيتها ممتعًا ومساعدًا لي على تفهُّم ما يجول في أذهان طلّابي بشأن خبراتهم الصّفيّة. أمّا الأمر الأكثر أهمية في نظري، فكان الخطابات الّتي وصلتني، يطلب فيها مُرسِلوها مَدَّ يد العون لهم، مثل رسالة أحد الطلّاب الّتي جاء فيها: «أستاذي العزيز، أمي وأبي قرّرا الانفصال، وهما يطلبان إليَّ أن أُقرِّر مع أيّهما سأعيش، فهل لك أن تساعدني على اتخاذ القرار المناسب؟». أجبْتُ طلبه في اليوم اللّاحق بمحادثة خاصّة، وتوضيح بشأن التّدريب الخاص الّذي تلقته مرشدة مدرستنا، لتتمكّن من مساعدة الطلّاب الذين يواجهون مثل هذه المواقف، وقدَّمْتُ الطّالب للمرشدة في ذلك اليوم، وتأكّدْتُ أنّه قضى معها وقتًا مناسبًا في هذه المحنة العصيبة. لقد أصبح صندوق بريد الصّفّ متنفسًا مهمًّا للطلّاب، يتيح لهم استكناه حياتهم الشّخصيّة ومشاركتها عندما يحتاجون إلى الدّعم، أو إلى شخص حكيم ليستمع إلى ما يدور في عقولهم.

توجيه الطلّاب نحو فهم الذّات عن طريق الأدب

لقد كنْتُ من أنصار اللّجوء إلى الأدب في تسهيل المناقشات مع الطلّاب بشأن قضاياهم ومخاوفهم على الدّوام، وما زلْتُ أومِنُ بأنّ التّفاعلات الحقيقيّة مع الأدب تُسهِم في النّموّ العاطفيّ. أضف إلى ذلك أنّ تنظيم مناقشات فاعلة مع الشّباب بخصوص الكتب الجيدة، قد يساعد المعلّمين على استخلاص أوجه الشّبه بين خبراتهم وخبرات الشّخصيّات الرّئيسة في هذه الكتب، ويتيح للطلّاب الاستماع لأقرانهم في الصّفّ، حيث يتشاركون المشاعر بشأن الخبرات الشّخصيّة الوثيقة الصّلة بموضوع الدّرس. وتُعَدّ مثل هذه الفرصة

محاولــة جيدة لمساعدة الطلّاب الموهوبين على فهم أنفسهم، والتّعامل مع المشكلات عن طريــق توفيــر الأدب الذي يتعلّــق باحتياجاتهم النّمائيّــة في الأوقات المناسبــة. إنّ الهدف الرّئيس من أيّ نقاش أدبيّ رفيع المستوى يشارك فيه الشّباب، هو تعرُّف المشاركين مشاعر بعضهــم، واستمــاع بعضهم لبعض من كثب، إضافــة إلى استماعهــم لأنفسهم. ومن المهم أن يتــرك الطــلّاب الصّفّ في هذه الأثناء وهــم يشعرون بأنّ الآخرين قــد خبِروا المشاعر ذاتها، إذ يمكن للنّقاش الجماعيّ، بتوجيه من معلِّم متفهّم، أن يؤدي إلى تفاهم بأن الجميع مشتركــون في الخبرة نفسها. بعــد مناقشة الكتاب، يُدرِج المعلِّمون أنشطة المتابعة الهادفة والممتعــة، مثل: الاستجابات الفنِّيَّة، والكتابة الإبداعيّــة، والكتابة الصّحفيّة، وكتابة كلمات الأغانــي، وتأليــف الموسيقا، وتصميم إعلانــات التّلفاز، أو أيٍّ من الخيــارات الأُخرى التي يُحدِّدهــا الطلّاب أنفسهم ليُنفِّذوها فرديًّا أو جماعيًّا. وكلّما انشغل الطلّاب بتلك الأنشطة، استمرت النّقاشات، وأعطى كلٌّ منهم الآخر التّغذية الرّاجعة الدّاعمة. مجمل القول، إنّ هذه الإستراتيجيّات الصّفّيّة الثّــلاث أكسبتني رؤى كثيرة بشأن طلّابي، وأتاحت لي أن أُصنِّفهم ضمن فئــة الموهوبين، وحفزتني أكثر إلى دعم جوانبهم الاجتماعيّة والعاطفيّة. لذا، فإنّني أُشجع قرّائي على أن يحذوا حذوي.

إستراتيجيّات للتّعامل مع التّطوّر الاجتماعيّ- العاطفيّ

هنــاك أفكار كثيــرة يمكنك تطبيقها لتهيئة بيئــة إيجابيّة في الصّــفّ للطلّاب جميعًا. ومن هــذه الإستراتيجيّات، تخصيصُ مــكان في الصّفّ يلجأ إليه الطــلّاب (للخلوة) بعض الوقت، وقد يكون هذا المكان بساطًا في ركن الغرفة، أو وسادة على الأرض، أو كيسًا محشوًّا بالقطــن. ومــع أنّ تلك الاقتراحــات قد تبدو أكثــر قابلية للتطبيق في أحــد صفوف المرحلة الابتدائيّــة، فإنّهــا تناسب المراحل الأُخرى أيضًا. وقد تكون زيــارة المكتبة دقائق معدودات وسيلةً ناجعة (للهرب) إذا تعذّرت الوسائل الأُخرى.

يمثِّل الاختيار إستراتيجيّة أُخرى يمكن بها إدراك نقاط القوّة، والاهتمامات، والعواطف التــي تتعلّق بالشّباب الموهــوب. ومع أنّ (الاختيار) لا يُعَدّ خيــارًا مناسبًا على الدّوام، ولكن قــد يلجــأ إليه المعلِّــم أحيانًا حين يعرض على الطلّاب اختيــار الموضــوع (المحتوى)، أو

الطّريقــة التــي سيُنفِّــذون بهــا الموضوع معرفيًّــا (العمليّــة)، وكذلك طريقــة عرضهم لما تعلّمــوه (المُنتج). فكِّر في المُناخ الاجتماعــيّ - العاطفيّ الإيجابيّ الذي ينشأ عندما يمتلك الطــلّاب خبــرات تعلّم متباينة، ولا تنسَ الرابطة المهمّة بين تنميــة الجوانب الاجتماعيّة - العاطفيّــة للطّالــب والفرص المتوافــرة أو غير المتوافرة لــه ليتعلّم محتوى جديــدًا، ويطوّر تفكيره يوميًّا.

فيما يأتي، قصيدة لفتاة موهوبة يمكن أن تساعدك على رؤية رغبتها في التَّعلُّم.

توقف عن إعاقتنا

أنت لا تقول للعصفور
ألّا يطير
أنت لا تقول للطّفل
ألّا يبكي.
إذن، لِمَ
تواصل إعاقتي؟

....

أنت لا تقول للرّيح ألّا تهبّ
أو للنّهر ألّا يجري
أو للأمواج في المحيط
ألّا تتلاطم،
ولكنّك تظلّ تقول لي
إنّك لا تؤمن بإمكاناتي،
فلماذا
تواصل إعاقتي؟

.....

أنت لا تقول للنّجوم
ألّا تتلألأ
أو للشّمس
ألّا تشرق
ألَا تدرك
أنّك تعيقني؟

.....

أنت تقاوم ما ينبغي أن يكون
وهذا لا يؤذيني فقط
لذا، فأنا أسألك من فضلك
أن تنظر إلى ما تفعل

....

في داخلنا تكمن قدرة عظيمة
قدرة على أشياء جليلة كثيرة
وأنا أقول لك
نحن المستقبل
وهو ما أحاول أن أجعلك تراه
وأنت، نعم أنت
تصنع مستقبلك
وأنا أعلم أنّك تأمل
أن يكون عظيمًا
ولكنّ المستقبل يضمنه الحاضر
حاليًّا، لننظر
إلى كلّ ما صنعت

....

علِّمنا لأنّنا القادة المقبلون
لا تكبتنا،
اسمع ما يجب أن نقوله.
ادفعنا إلى الأمام
لأننّا مفكّرو الغد.
لا تُعِقْنا
إنّه ليس السّبيل
لضمان مستقبلك البرّاق
الذي تأمل فيه.
نعم، أعلم أنّك تريد ذلك،
ولكن لوصول مستقبل الغد البرّاق،
عليك أن تعلّمنا اليوم،
عليك أن تسمعنا
وتؤمن بنا،
وأنا أعدك
أنّنا سنحقّق الكثير

إليزابيث جاتن – Elizabeth Gatten
طالبة أمريكية في الصّفّ التّاسع

التَّنمُّر

هناك مشكلة غالبًا ما يعانيها الأطفال الموهوبون، هي مشكلة التَّنمُّر التي يُعزى تعرض هؤلاء الموهوبين لها إلى سببين: أولهما أنَّ كثيرًا من الأطفال الموهوبين [*] بالغو الحساسية،

* التنمر bullying: شكل من أشكال الإساءة والإيذاء والأفعال (اللفظية والجسدية والعاطفية) المتكررة يمارسها فرد أو مجموعة أفراد نحو فرد أو مجموعة تكون أضعف منها (في الغالب جسديًا). ويمكن أن يتخذ التنمر أشكالاً عدّة، مثل التحرش الفعلي والاعتداء البدني أو الإكراه والتخويف والتهديد. وهناك أسباب نفسية واجتماعية وراء انتشار ظاهرة التنمر في المدارس، وقد أخذت إدارات المدارس في كثير من الدول تطبّق برامج لمكافحة هذه الظاهرة– المراجع

والآخـر أنّهم عادة ما يختلفون عن أقرانهم من العمـر نفسه فيما يتعلّق بالاهتمامات، وربّما لا يجـدون آخرين ممّن يشاركونهم فـي الاهتمامات، فالاختلاف قد يجعل الموهوب الصّغير هدفًـا للتّنمُّـر، وهذا ما يناقشـه الخبير براد تاسـل Brad Tassell ويبيّن أثـره في الشّباب الموهوبين والنّابغين.

أسرار البقاء: طرائق التّعامل مع التَّنمُّر

براد تاسل[*]

«لِـمَ يرمقنـي أصدقائي بهذه النّظرات؟»، هذا هـو السّؤال الذي طرحتْه علـيَّ فتاة في سنّ الثّانيـة عشرة، عقب برنامجي عـن التَّنمُّر في إحدى المدارس، وأضافـت: «إنّهم يسخرون دائمًا من طريقتي في الكتابة».

إذا كنـت موهوبًـا، فهـذا لا يعني أنّك غيـر مشوّش ومضطـرب، إنّه لا يعنـي أنّ التّحكّم في حساسيـة علاقـات المراهقـة المعقدة يشبه قضـاء نزهة في حديقة. أعـرف فتاة موهوبة تُدعى كاثي، تبلغ من العمر اثني عشر عامًا، وتكتب بأسلوب يضاهي أساليب الكُتّاب الكبار. كانت كاثي شاعرة، وقد قرأت لي مجموعة قليلة من قصائدها، وكانت قصائدها في التّأمّل والرّثاء ذات طابع استشرافيّ جميل، لكنّها كانت مرتبكة؛ لأنّ أصدقاءها دأبوا على السّخرية منهـا كلّمـا استمعوا إلى قصائدها، ولا يلقون بالًا لعمق رؤيتهـا الشّعريّة؛ إنّهم لا يستطيعون فهم الوزن الشّعريّ الذي تتقنه وهي في سن الثّانية عشرة.

لـم تستطـع كاثي أن تفهم ما يمكـن أن نراه نحن بسهولة، وهو أننا نـادرًا ما نساعد طلّابنا الموهوبيـن علـى الإنجـاز، إنّ أصدقاءهـا فـي عمر الاثنـي عشـر الحقيقـيّ؛ الاثني عشر (الطّبيعـيّ)، تعتريهـم حالة من الغضب والجنون لمجرد عـدم تمكّنهم من مشاهدة قنوات التّلفـاز المخصّصة للكبار، والبنات يفكّرن دائمًا في الوقت الذي ستسمح لهن فيه أمهاتهن باستخـدام مستحضـرات التجميـل. أمّا كاثي، فهـي ابنة الاثنـي عشر ربيعًـا، الاستثنائيّة والذكيّة، وهي في حاجة إلى أن تتعلّم كيف تستخدم هذا الاختلاف لمصلحتها لا ضدها.

---

* بـراد تاسـل، ممثل هزلي وكاتـب أمريكي ساخر. له كتب عدّة، منهـا قصة (لا تطعم المتنمِّـر Don't Feed the Bully) وآخر أعضاء الفريق وأطرف نُكات العالم، ومسرحيات موجهة أساسًا للحياة المدرسيّة وللأطفال من مختلف الأعمار - المُراجع

حيـن سألتُ كاثي عن كيفية معاملة أصدقائها لها في الأوقات الأُخرى، أجابت: جيد؛ فنحن نلتقي خارج أسوار المدرسة، ونشاهد الأفلام، وهكذا دواليك. لكنها كانت تعاني حين تطلب إلـى أيّ شخص في قريتهـا أن يقرأ قصائدها؛ إذ سرعان ما تعتريـه حالة من الملل وعدم الرّاحة.

إنّ نصيحتي البسيطة لكاثي ولابنتي اللّتيْنِ يقارب اهتمامهما العقليّ مستوى طالبات الصّفّ السّابـع، وهـو ما يتخطى مستويـات قريناتهما من الفئـة العمريّة نفسها- هـي عدمُ إطلاع الآخرين على شِعْرهما مرة أُخرى، والسّبب أنّ «طلّاب الصّفّ الثّالث لا يمكنهم رؤية العالم المصغـر من الفكاهة»، هكذا قلت لابنتي المتوترة في أحد الأيام. أخبرت كاثي أيضًا بمدى روعـة عملهـا الفنّي، وبأنّ أصدقاءها لن يدركوا حقيقة ذلك، وبأنّ موقفهم هذا لن يُقلِّل من شـأن عملها، ولن يجعله أقلّ إبداعًا. بوجه عام، يرغـب الأطفال الموهوبون في أن يشاركهم الناس -لا سيّما أقرانهم -في عواطفهم، لكنهم كثيرًا ما يتعرضون للترهيب بشأن ذكائهم وحماستهم، ويمكن للآباء تقديم المساعدة عن طريق أيٍّ من الإرشادات الآتية:

1. **الدِّفـاع عـن موهبتهـم:** «ابنتي في سنّ الثامنة، وهي تُظهِـر اهتمامًا ملحوظًا بالأساطيـر الإغريقيـة التـي أصبحت شغلـي الشّاغل، وأنا أريـد أن أسمعها تتحـدث عن تلك الأساطير، مع أنّها قـد لا تمثِّل الموضوع الذي كنت سأختار دراسته بنفسي».
2. **المساعـدة علـى تعلّـم الإشـارات التي لا يحفل بهـا الآخـرون:** إنّه لأمر محزن؛ إذ لا أحـد في صفهـا (الثّالث) سيعرف الاختلاف بيـن الكائنات الخرافيّة، وإنّ الاستمـرار في فرضه عليهم سيُسبِّـب ألمًا. إنّ تعلّم قراءة الإشارات من الآخرين مهارة حياتيّة جيدة جدًّا.

يشعر الطلّاب الموهوبون غالبًا بالعزلة. كانت كاثي تشعر بأنها من كوكب آخر. ربّما تساعد نصيحتي لها أحدًا تعرفه أنت، فدعهم يعرفون الآتي:

1. «الأشخاصـ المناسبون موجودون. ربّما يتعيَّن عليهـم الذّهاب إلى الجامعة أولًا؛ ليتعرفـوا إليهم، لكنّهم موجودون على أيّ حال». يمكن لأولياء الأمور أن

يساعـدوا أبناءهـم اليوم بإيجـاد مواقع آمنة على شبكـة الإنترنت، أو إيجاد أشخاص آخرين يشاركونهم في عاطفتهم.

2. ربّمـا تكون موهبتـك الآن عازلة، ولكن، لا تدعيها تعزلـك. من الجيد معرفة كيـف تتعامـل مع الأقـران وَفقًـا لمستواهم. يمكـن لأولياء الأمـور مساعدة أبنائهم الموهوبين على إدراك أنّ احتياجات الآخرين مهمّة أيضًا، وأنّ الأمر ليس دائمًا متعلقًا بأفكارهم واهتماماتهم هم فقط.

فكّـرت كاثي لبعض الوقـت، وقالت: إنّها ستأخذ بنصيحتي في الغالـب. في الحقيقة أنّه يمكن الحدّ من وطأة التَّنمُّر على الأطفال الموهوبين بمساعدتهم على فهم الرّسالة الواردة في قصة (لا تطعم المتنمِّر)[*] وهي كيفية التّعامل مع هذه المشكلة وحلّها عمليًّا. لذا، ساعدهم على أن يدركـوا ويتفهموا أنّهم أذكياء، وأنّ هذا الذّكاء ليـس عامًا بين زملائهم في الصّفّ. ساعدهم أيضًا على الحصول على تغذية راجعة إيجابيّة لمواهبهم، وأن يحتفوا بهذه المواهب.

إرشاد الطلّاب الموهوبين

التَّنمُّـر ليس إلّا إحدى المشكلات التـي يواجهها الشّباب في أثناء سِنيّ الدِّراسة. وعلى الرّغم من وجود هذه المشكلات، فإنّ على المعلِّمين، والمرشدين، ومديري المدارس العمل معًـا لإيجـاد مُناخ إيجابـيّ في المدارس، وهـو المُناخ الـذي يتّسم بمساعـدة الطلّاب على استشعار أخطار التَّنمُّر والشّقاوة، وكذلك العمل مع الطلّاب لبناء احترام الذّات وتقديرها، علمًا بأنّ مَنْ يملك نظرة إيجابيّة تجاه نفسه هو أقلّ احتياجًا لاستغلال الآخرين.

* قصـة «لاتطعـم المتنمِّر»، قصـة شرطيّة (بوليسيّة) موجهة للأطفال من عمر 10-14 سنة، مـع أنّ الآخرين الذين قد يقرؤونها سيجدونها مسلّية وممتعة.

ملخّـص القصـة أنّ هانيبال، الطَّالـب في الصّفّ السّادس، الذي يقوم بـدور المحقّق، يدخل مدرسـة ابتدائيّة، فيجد قفصًا في وسط غرفة الصّفّ، ويكتشف أن المدرسة تعاملت مع مشكلة التَّنمُّر بتسليم السّلطة كلها إلى متنمِّر آخر. لحلّ هذه المشكلة، كان علـى هانيبـال أن يكتشف الإشارات الدالة على المتنمِّريـن، وأن يتغلب على الأشقياء بذكائه، ويعيـد السّيطرة على المدرسة إلى الطـلّاب والمعلِّمين. تهدف القصة إلى محاربة مشكلة العنف في المدارس، واقتراح خطوات للمدارس والأطفال الذين يواجهون هذه الظّاهرة- المُراجع

يؤدّي المرشد دورًا رئيسًا في تلبية الاحتياجات الاجتماعيّة والعاطفيّة للطلّاب، ويتعيَّن عليه جمع معلومات دقيقة وافية عن الأطفال الموهوبين؛ لتسهيل تطوير إمكاناتهم. فيما يأتي، وصف الخبيرة جين بيترسون Jean Peterson لمسؤوليات المرشد تجاه الأطفال الموهوبين والنّابغين.

أسرار البقاء: دور المرشدين في تربية الموهوبين

جين بيترسون(*)

يشدّد الإرشاد كثيرًا على مشكلات النّموّ الطّبيعيّة، فمع أنه يعترف بعلم الأمراض، فإنّه يؤكّد عادة نقاط القوّة الشّخصيّة، وتمكين الأفراد من إحداث التّغييرات، وحلّ المشكلات، والتّعامل مع المراحل الانتقاليّة، أو اكتشاف المشاعر المعقّدة.

لا تمنع الموهبة حدوث الصعوبات الاجتماعيّة والعاطفيّة، ما يعني اقتصار عمل المستشارين والمرشدين على التّحقُّق من صحة المشاعر وطبيعتها. ومع ذلك، نراهم أيضًا يساعدون الشّباب الموهوبين على فهم أنفسهم، والشّعور بأنّ هناك مَنْ يستمع إليهم، فضلًا على تطوير إستراتيجيّات فاعلة للمواجهة. فالأفراد الموهوبون جميعًا يواجهون تحدّيات نموّ شاملة، مع الاختلاف الجوهريّ في مراحل التّطوّر التي يمرّون بها مقارنة بالآخرين. غير أنّ تحدّيات النّموّ ربّما لا تجول في الأذهان حين يفكِّر المربّون في تقديم خدمات للطلّاب الموهوبين. فقد يؤمن المربّون، وحتى أولياء الأمور، بأنّ التّحديات الأكاديميّة وحدها هي التي تُعَدّ ضرورية، وإذا كان الأداء الأكاديميّ (أو عدمه) هو المحور الرّئيس أو الوحيد، فمن المحتمل ألّا ينال جانب النّموّ الطّبيعيّ قدرًا كبيرًا من المناقشة في البيت أو المدرسة. ووَفقًا لبحثي، فإنّ الطلّاب الموهوبين يميلون إلى مقاومة طلب المساعدة، ومن ثَمّ فحين لا يمثِّل التّطوّر الاجتماعيّ والعاطفيّ -رسميًّا- محور البرنامج، فإنّ تواصل مرشدي المدرسة مع

---

* جين بيترسون، أستاذة في معهد التّربية في جامعة بوردو الأمريكيّة، تشرف على إعداد المرشدين والموجهين. تتمتع بخبرة طويلة في التّعامل مع الأطفال الموهوبين وأولياء أمورهم. تتناول دراساتها ومؤلفاتها التّطوّر الاجتماعيّ-العاطفيّ للموهوبين المراهقين، وبخاصة في المجتمعات المحرومة- المُراجع

موهوبـي المدرسة الثّانويّة سيكون قليلًا، باستثناء المساعدة على معرفة مواعيد التّسجيل، وكتابة نماذج الالتحاق بالجامعات.

تكمـن ميزة الموهبة أو فائدتها في أنها تستطيع، فعلًا، مساعدة الشّباب فائقي القدرة على مواجهـة الصّعـاب، فالذّكاء يُعـدُّ دائمًا من عوامـل المرونة. وعلى النّقيض مـن ذلك، فإنّ الجانـب السّيّئ يمكـن أن يظهر من خـلال ردّة الفعل العاطفيّ الظّاهـر أو غير الظاهر، أو المعالجـة السّريعة للمعلومات، أو عدم وجود الدّعم من الكبـار، أو الأقران، أو المسؤوليات الثقيلـة، أو التّوقعـات غير المعقولة؛ سواء من الذّات أو الآخريـن، وكذلك الضّغط الشّديد، وربّمـا يفترض الكبار والأقـران، وحتى العائلة أنّ الموهبة تعني قدرة الشّخص على مواجهة أيّ أمر.

يُذكَـر أنّ السّمات المرتبطـة بالموهوبين، مثل: الحساسيّة، والانفعـال الزّائد، والحِدَّة، قد يراها المتخصّصون غير طبيعيّة، في حين يَعُدّها الأقران غريبة بكلّ بساطة.

حيـن يدرك مرشـدو المدرسة وأفراد المجتمـع أنّ الموهبة قد تؤدي إلـى تفاقم التّحديات المتعلّقـة بمراحل النّموّ والمراحل الانتقاليّـة الأخرى، سيشعر الطلّاب الموهوبون بأنّهم قد فُهمـوا، وسيفهمون على الأرجح مشاعرهم وسلوكاتهـم المضطّربة. وبالمثل، فحين يحترم المرشدون مفارقة الميزات والمساوئ، فإنّهم يتمكّنون –في الغالب– من بناء تحالف وقائيّ مع الطلّاب والمراهقين الموهوبين.

بوجه عام، يمكن لمرشدي المدرسة العمل ضمن مجموعات عمل صغيرة أو كبيرة، لمساعدة المتفوّقين أكاديميًّا وضعـاف التّحصيل –على حدٍّ سواء– على التّواصل الهادف بعضهم مع بعضـ، وتنمية المهـارات الاجتماعيّة، وتعلّـم التّعبير عن المشاعر بصـورة فاعلة مناسبة، وإيجـاد الدّعم اللّازم. وقد يهتم المرشدون أيضًـا بالتّطوير المهنيّ لمدّ يد العون للأطفال الموهوبيـن الّذين يشعرون بالقلـق مبكّرًا حيال إمكاناتهم المتعـدّدة ومستقبلهم. ومن بين الموضوعـات التي قد تُطـرح للنقاش: النّزعة إلى الكمال، والمماطلـة، والقلق، والمخاوف، وصـورة الذّات، والمخاوف التي تتعلّـق بالحياة الجامعيّة، وكذلك مشـكلات النّموّ المتعلّقة بالهويّة والتّمييز عن العائلة.

واستنـادًا إلى ذلك، يمكن للمرشدين توفير بيئة غير ناقـدة، وتأمّل متّزن ومدروس، وشعور إنسانيّ صادق، ومهلة حاسمة في بيئة تنافسيّة داخل المدرسة. وعلى الرّغم من قدرة هؤلاء

المرشدين والمستشاريــن على عقد جلسات فرديّة، فإنّهم عادة ما يتحمّلون مسؤولية مئات عــدّة من الطلّاب، ما يجعلهم يحصــرون وقتهم في العمل العلاجيّ العــاديّ والممتد. حين تؤثر مشاعر الطَّالب الموهوب أو سلوكاته على نحوٍ واضح في علاقاته، وسعادته، وعمله في المدرســة، يمكن للمرشد أن يقدِّم اقتراحات عمّا ينبغــي البحث عنه في خدمات المجتمع، ومَنْ يمكنه مَدّ يد العون، ولا سيّما المتخصّصين المُدرَّبين للعمل مع الأسر.

الخلاصة

إنّ تفهُّمَ الجوانب الاجتماعيّة والعاطفيّة للأطفال الموهوبين على قدر كبير من الأهمية عند أولياء الأمور والمربّين. ولعلّ بحث هؤلاء الموهوبين عمَّن يشاركهم في الاهتمام والميول، بصــرف النّظر عن أعمارهم، يُسهِم في تنمية هذه الجوانب وتعزيزها. وتزداد فرص العثور على مثل هؤلاء في تجمعات الطلّاب التّعليميّة؛ مثل برامج أيام العطل والبرامج الصّيفيّة.

مجمل القول، ينبغي للمعلّمين والمستشارين إدراك أنّ الشّباب الموهوب يكوّن مجموعة متنوّعــة، وأنّ إزالة سقف التَّعلُّم هي الطّريقة المثلى لهؤلاء الشّباب الاستثنائيِّين كي يطوروا اهتماماتهم، ويحرزوا تقدّمًا مستمرًّا.

نصائح من أجل البقاء:

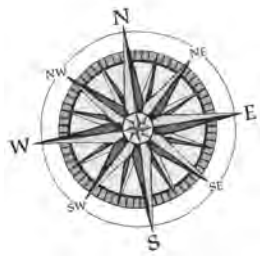

- اغتنم أيّ فرصة سانحة لتخبر الطَّالب بمواطن القوّة لديه، أو بالأمور التي يجيد عملها، أو بالمواقف التي أظهر فيها بعض اللّطف؛ إذ يمكن لتعليقاتك أن تُلهِم الطلّاب، وتجعلهم يُحلِّقون عاليًا.
- ساعد أولياء الأمور على تحديد ما يلزمهم من موارد لفهم الجوانب الاجتماعيّة والعاطفيّة لأبنائهم بصورة أفضل.

حقيبة أدوات المعلم للبقاء في الميدان

- أنا موهوب I Am Gifted : تمثِّل هذه الأداة مقطع فيديو على موقع (اليوتيوب)، يمكنك عرضه على طلّابك الموهوبين، وتنظيم نقاش عنه.

http://www.youtube.com/watch?v=Omx – iLmjZA&feature=related

- دعم الاحتياجات العاطفيّة للموهوبين Supporting Emotional Needs of the Gifted - SENG يحتوي الموقع الإلكترونيّ لهذه المنظمة على مقالات عدّة تتناول الجوانب الاجتماعيّة والعاطفيّة للأطفال الموهوبين. http://www.sengifted.org
- Cross, T. L. (2011) عن الحياة الاجتماعيّة والعاطفيّة للأطفال الموهوبين .On the social and emotional lives of gifted children. Waco, TX
- فونسكا، سي. (Fonseca, C. 2010). الحدّة العاطفيّة لدى الطلّاب الموهوبين: مساعدة الأطفال على التّعامل مع المشاعر المتّقدة

Emotional intensity in gifted students: Helping kids cope with explosive .feelings. Waco, TX: Prufrock Press

- Fonseca, C. (2011). 101 سرٌّ لنجاح الأطفال الموهوبين.

101 success secrets for gifted kids. Waco, TX: Prufrock Press.

- جالبريث، جيه (Galbraith, J.2009). مرشد البقاء للأطفال الموهوبين: لسنّ العاشرة وما دونها (الطّبعة الثّالثة).

The gifted kids' survival guide: For ages 10 & under (3rd ed.). Minneapolis, MN: Free Spirit.

- توماس هيبرت (Hébert, T. P. 2011). فهم الحياة الاجتماعيّة والعاطفيّة للطلّاب الموهوبين.

Understanding the social and emotional lives of gifted students. Waco, TX: Prufrock Press.

- جين بيترسون (Peterson, J. S. 2008). الدّليل اللّازم للحديث مع المراهقين الموهوبين: مناقشات جاهزة للتّداول عن الهوية، والضّغط، والعلاقات.

The essential guide to talking with gifted teens: Ready-to-use discussions about identity, stress, relationships, and more. Minneapolis, MN: Free Spirit.